- 6 -

مات الملك، عاش الملك.

عاش الموبايل من مختلف الرّنّات. عاشت التكنولوجيا الحديثة. عاشت الشاشات الزرقاء.

عندما يتوفّر الشعب الفقير إلى الله على موبايل، ويبحر في ملكوت الإلكترونات ينسى فقره. صار العالم قرية صغيرة. أصبح مُتاحًا بين أيدي أبناء الشعب في مقاهي الانترنت التي بدأت تنتشر كالفطر بأسعار ديموقراطية. لا غلاء على مسكين. درهمان للزيارة الخفيفة العابرة. ثلاثة دراهم للنصف ساعة. وخمسة للساعة الكاملة. أما الساعة الثانية بالنسبة للزبون الوفي فيصير ثمنها أربعة دراهم وهكذا. دراهم معدودة ورصيد لغوي لا يتجاوز بضع مفردات من كل لغة أجنبية ليبحر شعب الله الافتراضي في مضارب الشقرة من مختلف الرّطانات. هذا عن الذكور. أما الإناث، فالعربية الرّكيكة تكفي لتتراقص القلوب الإلكترونية الحمراء من المحيط إلى الخليج.

عاشت التكنولوجيا.

أمّا رحّال، فكان في قلب الحدث.. في الوقت المناسب تمامًا.

فتح حسابا في هوتميل لا ليراسل منه أحدا، بل فقط ليكون له حساب في هوتميل. وأنشأ آخر على مكتوب لا ليدردش عبْرَه مع

عرب الشبكة، إنما من الطبيعي أن يكون له حساب على مكتوب. الثالث في ياهو، هكذا لأنه ياهو. والرابع: لم يقرّر بعد.

كل زبناء السّيبركافي حديثو العهد بالميدان. أغلبهم في طور الاستكشاف. لذا كلما حلَّ وافدٌ جديدٌ على المحل وقف أمام رحّال يطلب منه الجهاز ويد المساعدة. هذا يريد فتح حساب في هوتميل والآخر في ياهو، ورحّال يسهر على فتح حسابات إلكترونية لهم هنا وهناك. خدمة جديدة تبدو سحرية لمن يقصد السّيبر لأول مرة. لذا حدّد لها مبلغ 30 درهما. الحساب مجاني. لكن رحّال يفوز بثلاثين درهم عن كل حساب يفتحه والزبناء يجدون ذلك طبيعيا. إذ لا يمكن الحصول على حساب إلكتروني له نفس أدوار صندوق البريد الذي يحفظ للزبناء رسائلهم في مكتب بريد المسيرة المجاور هكذا بالمجان. ثم إن صندوق رحّال أفضل، لأنك لن تدفع أكثر من رسوم التسجيل في اليوم الأول ليبقى مفتوحا في وجهك على الدوام.

الزبائن يروحون ويجيئون. يتناوبون على أجهزة الكومبيوتر وعلى رعي الفئران الضوئية على سطوح المكاتب. لكنّ أسْرَةً صغيرةً بدأت تتشكل حول رحّال بالتدريج. سليم تلميذ البكالوريا المنبهر بالعالم الافتراضي الجديد. له إيميلان لحد الآن، واحد في هوتميل والآخر في ياهو. يأتي أحيانًا رفقة والده وحينًا رفقة أخته الصغرى لمياء. دائم البحث عن مصادر المعلومات التي تتيحها الشبكة، وفي حاجة يومية إلى طباعة خلاصات بحثه التي يعرف كيف يزهو بها على زملائه في الفصل.

سميرة وفدوى، تدخلان معًا وتخرجان معًا وتجلسان معًا. تخصُّص غرف مُحادثة. تندمجان في شخصية افتراضية واحدة. تحبّان الدردشة مع الشباب بالعربية والفرنسية والانجليزية. اسم الشهرة: نجمة مراكش.

– اثنان في واحد: شمبوان ومُليِّن في نفس الوقت، يشاغبهما قمر الدين السيوطي كلّما لمحهما داخلتين إلى السّيبر.

قمر الدين، ابن شهاب الدين السيوطي أشهر أساتذة التربية الإسلامية في ثانوية المسيرة وأقواهم حضورا في نكات التلاميذ.

– شكون فينا الشامبوان؟ وشكون المُليِّن؟ تسأله فدوى متواطئة.

– ف الحقيقة، هاذ النقطة ما زال كانبحث فيها، ملّي نقرر أنّكِ أنتِ هي الشامبوان غادي نقولها لك.

كان قمر الدين يعرف كلّ قصص «نجمة مراكش»، خصوصا وأن فدوى وسميرة اعتادتا اللجوء إليه في كل مراسلاتهما بالانجليزية. يشرح لهما ما غمض من رسائل العالمين، ويصحّح لهما ردودهما لتسافر عبر الشبكة الإلكترونية بأخطاء أقل.

إنجليزية قمر الدين جيّدة. فرنسيته أيضًا. لكنه يردّد دائما، بمناسبة وبدونها، أن عربيَتهُ ضعيفة مع الأسف. لا يبدو على ملامح قمر الدين أيّ أسف وهو يُردّد هذا الاعتراف. بل تكاد تشرق في وجهه لمعة فخر خبيئة. هل يقول ذلك نكاية بالأستاذ شهاب الدين؟ مدرس العربية الذي تحوّل إلى التربية الاسلامية ليس عن فائض تديُّن، ولكن عن كسل ورغبة في التنصُّل من دروس النحو والإعراب. التربية الإسلامية مادّةٌ غير أساسية لا بالنسبة للعلميين ولا بالنسبة للأدبيين. ساعتان في الأسبوع لكل فوج. والعديد من التلاميذ يعتبرون تلك الحصة فسحة يقضونها في ملاعب الرياضة أو أمام الثانوية أو عند رحّال لمن يملكون ثمن التزحلق على جليد الشاشة والإبحار في أمواج الضوء، خصوصا وأن الأستاذ السيوطي لا يلتزم بتقييد الغياب.

قمر الدين لا يكره أباه في الواقع، لكنه يكره الحديث عنه. يفضّل دائما أن يرافق أصدقاء لم يدرسوا في ثانوية المسيرة، وبالتالي لا يعرفون شيئا عن شخصية الأستاذ شهاب الدين، ولم تمرّ عليهم نكاته ومواقفه الطريفة. فدوى وسميرة تشكّلان استثناء. رغم أنهما درستا

عند الأستاذ السيوطي إلا أن علاقتهما بقمر الدين بنتُ السّيبر ولا علاقة لها بالمؤسسة. ثم إنه شاب وسيم متألق في اللغات. وبذلك صارت صداقتُه مكسبا حقيقيا لـ«نجمة مراكش» معًا.

كان قمر الدين متوفّرًا باستمرار في المحل حتى صار رحّال يتركه يهتم بالسّيبر في غيابه كلما اضطرّه ظرفٌ طارئٌ للخروج أو ذهب إلى المدرسة لتلبية إحدى طلبات هيام المستعجلة على الدوام. بدأ قمر الدين يستمتع بمغامرات «نجمة مراكش» وفتوحاتهما الإلكترونية شرقا وغربا. هذا جادٌّ وهذا عفيف، والآخر قصدُه شريف. هذا يريد زيارة مراكش من أجل عيونها ويسأل عن أفضل الفنادق وأنسب الخطوط الجوية. والآخر يقترح عليها المجيء إلى لندن على أن يتكفّل بأمر بطاقة الطائرة وسيتولّى استقبالها في شقته لتقيم معه معزّزة مكرّمة لأسبوع أو لشهر كامل إذا سمح وقتها الثمين بذلك. وآخر يقترح عليها بخشوع مريبٍ قضاء عمرةٍ في مكة المكرّمة.

لكن ما إن تشرقَ شمسُ أميليا النيجيرية في السّيبر حتى يُصيب نجمة مراكش الخسوف. انتبهت فدوى إلى أن قمر الدين يفقد تركيزه كلما هلّت الشمس النيجيرية السوداء. أحيانا تأتي أميليا وحدها. أحيانا ترافقها صديقتها فلورا. ياكابو يلتحق بهما دوما فيما بعد. ربما هي خطة لكيلا يمنعهم رحّال من الجلوس ثلاثتهم أمام جهاز واحد. فقانون المحل معروف: شخصان فقط لكل كمبيوتر.

لا أحد يعرف طبيعة علاقة ياكابو بأميليا وفلورا. هل هو أخوهما؟ قريبهما؟ أم لعله عشيق إحدى الفتاتين؟ مع الأفريكانو يصعب التّخمين دائما. على كلٍّ هم محظوظون، فأصحاب الشقق والعمارات لا يسألونهم عن الأوراق. حتى ولو كانوا من مسلمي مالي والسينغال. لا يُدقّقون معهم كما يفعلون مع المغاربة. شباب البلد يجدون صعوبة في المُساكنة مع رفيقاتهم دون عقد زواج. أما الأفريكانو فلا أحد يسألهم. لذا يسكنون مع بعض. تجدهم يتكدّسون من خمسة إلى

عشرة في شقة صغيرة من غرفتين ومطبخ وحمّام. عمومًا، قمر الدين لا يهتمّ كثيرا لهذه التفاصيل. فهو ليس مغرما بأميليا. إنه فقط يفرح بها. طلّتُها تُسعده وابتسامتُها تُبهجه، وحسبُه ذلك. كما أنه يجد في الجلوس معها فرصة مواتية للدردشة بالانجليزية التي تتقنها. لكن هناك سببًا أهم.. حسّاسًا بعض الشيء. ويستحسن عدم الخوض فيه أمام الآخرين، خصوصا أمام فدوى وسميرة.

قمر الدين يريد أن يفلت بجلده من البلد بأيّ وسيلة. أرهقَهُ شهاب الدين، وأرهقته الحياة المملّة التي يعيشها في البيت. في الكلية التي لم يعد يتردّد عليها إلّا لماما. وحتى في هذا السّيبر اللعين الذي أدمنه على ما يبدو. أرهقه تلصُّص رحّال. كلما التفت وجد الجرذ يراقب شاشته. أرهقه نقاش أساتذة التاريخ في الثانوية. يأتون جماعة إلى السّيبر. ليست لهم مواعيد محددة. لكن حين يُشرِّفون يفعلون ذلك جماعة وكأنهم ذاهبون إلى المسجد. يحتلون جهازا لكل واحد منهم وعوض أن يركب كلٌّ موجته ويبحر، يبدأون في الثرثرة وكأنهم في قاعة الأساتذة. يحكون أن الحياة أيام الحسن الثاني كانت ألعن، وأن ظروف البلد تحسنّت كثيرا مع قدوم الملك الشاب، فقد صارت هناك هوامش حرية وحيوية جديدة وبوادر تحوّلات. قمر الدين لا يهتمّ لحكايات زملاء والده. هو لا يرى تحوّلا ولا بطيخا أحمر. ثم من قال إنه يريد أن يعرف كيف كانت الحياة أيام الحسن الثاني؟ كان صغيرا حينها. واليوم، يحس أنه كبر. ولا يريد العودة إلى الوراء. ليس لديه وقت يضيّعه في مثل هذا الكلام. قمر الدين يريد حياة أخرى. الحياة كما يراها في الأفلام. كما يراها في التلفزيون. الحياة كما يعيشها شعب الله المختار في الشمال. قمر الدين يريد أن يفرّ بجلده من هنا. الهجرة حق مقدّس. وهو لا يفهم لماذا عليه أن يبقى في مكان يخنقه مع كائنات لا يحبّها. لا يفهم لماذا لا يحقّ له أن يطرُد كل هذا العالم المضجر من أيامه ولياليه، من حياته ومستقبله، وينطلق.

- 7 -

– طبعًا مسيحية، لماذا تسأل؟ ردّت أميليا.

– مجرد سؤال عادي. لكن هل يمكن أن نحكي في الخارج؟

تركَتْ فلورا مشدودة إلى الجهاز لوحدها. استأذنَتْها بلهجة نيجيرية محلية لم يلتقط منها قمر الدين غير اسم ياكابو الذي تردّد ثلاث مرات. في الخارج، دعاها إلى مقهى «ميلانو» المقابل للسيبر. اكتشف أن أميليا تدخن. ما إن وضعت أسماء، النادلة، أمامها فنجان القهوة حتى أخرجت من جيبها علبة «ماركيز». أشعلت سيجارة ومدّت العلبة إلى قمر الدين.

– عفوا لا أدخن.. ولن أطيل عليك. لكنني أريد أن أعرف منك عن المسيحية. أقصد: أريد أن أعرف أكثر. قرأت على النت حول التثليث والتوحيد. حول لاهوت السيد المسيح وناسوته. حول الفرق بين المسيحية الأرتوذكسية والكاثوليكية، ثم بين البروتيستانت والإنجليكان. كما قرأتُ «عظة الجبل» عشرات المرات وأحفظ منها مقاطع بالعربية والفرنسية والانجليزية. تتأكدين؟ إليك هذا المقطع: « سمعتم أنه قيل: عينٌ بعَين وسنٌ بسن. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسيء إليكم. من لطَمك على خدّك الأيمن، فأدِرْ له الأيسر. ومن أراد أن.. من أراد أن.. » انتظري نسيت.. لكن هناك مقطع آخر. الذي يليه: «سمعتم أنه قيل: أحِبَّ قريبك وأبغِض عدوك.

أما أنا فأقول لكم: أحبّوا أعداءكم، وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات. فهو يُطلِع شمسه على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين».. هناك أيضا «اطلبوا تجدوا» أحفظها عن ظهر قلب.. اسمعي..

– لا اسمع أنت يا قمر..

– عبد المسيح.. اسمي الجديد عبد المسيح.. أنتِ أول شخص أبوح له به، على أن يبقى سرّا بيننا.

– اسمع يا عبد المسيح.. يبدو أن هناك لُبسًا ما. حينما أجبتك أنّي مسيحية، كنتُ أحدّثك بشكل عام عن ديانة العائلة. لكن صدّقني، لست مسيحية بالمعنى الذي تظنه. أنا لا أتردّد على الكنائس ولا أقرأ الكتاب المقدس ولا أحفظ عِظة الجبل. يعني مسيحية والسلام. خذها مني هكذا ببساطة. ودعنا نعود إلى السّيبر رجاء، ففلورا تنتظرني.

أُسْقِط في يد قمر الدين. كان اكتشافه للمسيحية مصادفةً. بدأ بالإبحار في مواقع البورنو. ولأن الجرذ الذي يسهر على المحل كان يجلده من الخلف بنظراته الفضولية الجائعة غيَّر المَوْجة إلى مواقع الهجرة. بعدها انصرف إلى ممارسة رياضة القفز الحرّ في المدى الإلكتروني. ثم هُوب. قفزة حرّة أخرى ووجد نفسه يعبر دون سابق ترتيب إلى الشاطئ المقابل ليتبع يسوع المسيح:

«((يا مُعلم، أتبعك أينما تذهب»، فأجابه يسوع: «للثعالب أوكارٌ، ولطيور السماء أعشاشٌ، وأمّا ابن الإنسان، فلا يجد أين يُسند رأسه»)).

صدقت يا معلمي. أمّا ابن الإنسان، فلا يجد أين يُسند رأسه.

كان قمر الدين مصدوما وهو يتلقى ردّ أميليا البارد. كان في أمسِّ الحاجة إلى من يسانده في هذه الفترة الدقيقة من بحثه الإلكتروني عن الحقيقة. كانت أميليا ملاكه الأسود، أباه الذي في السّيبر. أمه. أخته. لا فرق. كان يجد في ابتسامتها سماحة القدّيسات. لكنها خيّبت ظنه

بشكل تأذّى منه كثيرا. تصوّروا: لا تقرأ الكتاب المقدس ولا تحفظ عظة الجبل!

أما أميليا فقد أصابها الذهول. كانت فلورا وياكابو قد أثارا انتباهها منذ بداية تردّدهما على السّيبر إلى تعلّق قمر الدين بها. أو على الأقل إلى اهتمامه الملحوظ بها. من يومها وهي تراقبه. أعجبتها وسامته. أحبَّت قفشاته، مرحه ولباقته، إنجليزيته الجيدة، وطريقته المهذّبة في الحديث مع الجميع. لِمَ لا؟ شاب لذيذ يستحق اهتمامها. كانت أميليا مستعدة لكل شيء مع قمر الدين، من الجوى المشبوب إلى المغامرة العابرة. وحين دعاها تلك الظهيرة إلى المقهى، خرجت معه سعيدة متحمّسة. فإذا بالمجنون يزجّ بها في حديث ثقيل عن التثليث وعظة الجبل. أميليا تعرف هوس قمر الدين بالهجرة، لكنها لم تتخيّل أن جنونه سيقوده إلى التفكير في المسيحية كذريعة لمغادرة البلاد. ثم هي مسيحية أمّا عن جدّة؟ لو كانت هناك أولوية لأتباع السيد المسيح في الذهاب إلى أوروبا لهاجرت مباشرة من لاغوس، معزّزة مكرّمة، ولم تحتج إلى هذه الرحلة الطويلة عبر الصحراء قبل أن تجد نفسها ورفاقها محبوسين في المغرب. لا هم توفّقوا في التسلّل إلى إسبانيا. ولا هم قادرون على العودة إلى بلادهم ومواجهة الأهل والأصحاب بخيبتهم، بعدما بدّدوا نقود العائلة في رحلة شاقة طويلة.

- 8 -

قمر الدين يبدو مستمتعا بدور صديق الجميع في السّيبر. يتنقّل بين الأجهزة مثل فراشة إلكترونية. مرّةً مع سليم يساعده على إنجاز واجب مدرسي، ومرّةً مع فدوى وسميرة يشرح لهما رسالة بالانجليزية وردت للتّوّ على هوتميل «نجمة مراكش». حينًا يأخذ مكان رحّال أثناء غياب هذا الأخير، وأحيانا يتهامس مع ياكابو بعدما اكتشفَ متأخّرًا أنّ الفتى النيجيري أكثر تديُّنا من رفيقتَيْه.

على النقيض تمامًا من عبد المسيح، كان أبو قتادة.

لا يكلّم أحدا. يدخل السّيبر برجله اليمنى وهو يقرأ المعوّذتين. حقًّا إفشاء السلام في جمع المسلمين واجب. لكن أبا قتادة يجد عسرا في رفع عقيرته بالسلام كلما دخل السّيبر ووجد الكاسيتين العاريتين هناك وبينهما ذلك القُنْذع الدَّيُّوث المُسمّى ظلما وبهتانا قمر الدين.

«آش من قمر الدين؟ قمر الخرا هذا. قمر الويل ماشي قمر الدين. الله يلعنها ولدة» .

أمّا جماعة الأفريكانو، فأبو قتادة حريصٌ على ترك المسافة الكافية بينه وبين مجلسهم. صحيح أنه «لا فرق بين عربي أو أعجمي، ولا أبيض أو أسود إلّا بالتقوى. لكن وجوه الأفريكانو الكالحة لا تشي بحياء ولا تشعُّ منها تقوى. ليس لأنهم سود، معاذ الله. فسيدنا بلال

مؤذّن الرسول عليه أزكى الصلاة والسلام كان عبدا حبشيا. والإسلام أكرمه حتى أن الحبيب المصطفى وصفه بأنه رجلٌ من أهل الجنة، وقال عنه: نعْمَ المرء بلال، هو سيّد المؤذّنين. والمؤذّنون أطول الناس أعناقا يوم الَقيامة» . انتبه أبو قتادة إلى أنّ عنق ياكابو طويل نحيل مثل عنق الزرافة. « لكن وجهه المظلم أبعد ما يكون عن أن يشعّ منه نور الإسلام هو والأمَتان الدَّميمتان اللتان لا تكادان تفارقانه. تبدوان أشبه بمعزاتين. تبّا له ولهما» . فكّر أبو قتادة مستدركًا ثم استغفر الله.

اسمه المحجوب ديدي. موظف في الوكالة الجهوية للماء والكهرباء. متزوّج وأب لطفلين. أكثر ما يثير حفيظته أن يداعبه زميل ثقيل في العمل بالغناء: «ديدي، ديدي، ديدي واه». غلظتُه جعلت زملاءه يتحاشون ترديد أغنية الشاب خالد الشهيرة أَمامه، لكنهم يتغامزون بها في غيابه. أمّا «أبو قتادة» فكُنية اختارها له أحد الإخوة جازاه الله خيرا في مجلس ذكر عَطِر. ومن يومها واسمه في المجالس الرّبانية والمواقع الإلكترونية النورانية أبو قتادة تيمُّنا بالصحابي الجليل أبي قتادة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه.

- 9 -

Big Brother is watching you !

كان قمر الدين يردّد هذه الجملة من حين لآخر غامزا من قناة رحّال..

آسف آسف.. أريد أن أقول:

Little brother is watching you !

ويهتزّ السّيبر بالضحك.

يجب الإقرار بأن إنجليزية رحّال فوق الجهلِ بقليل. أما معرفته بالأدب الانجليزي فلا تزيد كثيرا عن معرفة أميَليا بمذهب الإمام مالك. وعلى كل حال، رحّال ابن شعبة الأدب العربي تخصُّص شعر قديم: مُعلّقات، شعر أموي، عباسي، أندلسي، مغربي.. أما الروايات، فهو لا يقرأها حتى بالعربية التي يتقنها، لكي يتهجّاها بلغات الآخرين. ولأن أحدا لم يشرح له أن الأمر يتعلق برواية جورج أورويل الشهيرة "1984"، حيث الأخ الأكبر يراقب الجميع، ظل دوما يتساءل في قرارة نفسه: «لماذا يتبجّح قمر الدين بالحديث عن أخويه، الأكبر والأصغر، في السّيبر رغم أن له أختا واحدة فقط تتابع دراستها العليا في الرباط؟».

Little brother is watching you !

تعريض قمر الدين برحّال ما كان ليحرّك في السنجاب ساكنا. فقمر الدين يحتجّ على الطريقة التي يستبيح بها رحّال شاشات زبناء

المحل التي لا يجد أدنى حرج في تثبيت عينيه الفأريتين عليها. كان ذلك يسبّب لقمر الدين الكثير من الضيق في المرحلة الأولى من حياته الافتراضية حين كان مدمنا لا يزال على المواقع البورنوغرافية. وحتى اليوم، يكره أن يتلصّص أحد على مواقعه المباركة. لذا صار يتفادى الصفحات المصوّرة حيث الكنائس والأيقونات والرسوم الكنسية. في الغالب، ينقل النصوص ويلصقها على صفحة بيضاء محايدة ثم يأخذ راحته في القراءة على الوورد. وحين ينتهي يقذف بالملف إلى سلة المهملات الإلكترونية ويغادر.

لكن في مملكة رحّال العْوينة، لا مجال لسلّة المهملات. إثر مغادرة آخر زبون بعد منتصف الليل يأخذ رحّال بضع دقائق، قد تمتد لتتجاوز الساعة، يفحصُ فيها الأجهزة. يتفقدُّها واحدا واحدا. ينبش في أحشائها ويهتك أسرار من آووا إلى أفيائها الرقمية من الرّواد. العديدون يتركون حساباتهم الإلكترونية مفتوحة. أعضاء المنتديات كذلك. الأخ أبو قتادة مثلا اعتاد بعد سماعه أذان العشاء أن يسدل الستار ويخرج لتبقى صفحة المنتدى مفتوحة والنقاش متواصلا بين الإخوة: مرةً حول وجوب القتال وبذل النفس إذا ما وطئ الاحتلال أرضا مسلمة، وأخرى حول فساد الانتخابات كوسيلة للوصول إلى الحكم والظفر بالمناصب. كان النقاش محتدّا هذه المرة، ودائما في موضوع الانتخابات. الإخوة في الله يعترضون بشدّة على بدعة تزكية المرشحين لأنفسهم، وكذا على تساوي كافة أفراد المجتمع في أصواتهم أيّا كانت درجة علمهم وتقواهم. أما دروس عبد المسيح وإصحاحاته فكان رحّال يستعيدها من سلة المهملات وينقل المُعرَّب منها إلى جهازه الخاص ليتفرّغ لمراجعته في اليوم الموالي.

هذه مجهودات إضافية يقوم بها رحّال قبل الإغلاق، وإلا فهو من فتح لكل أعضاء النادي حساباتهم الإلكترونية أول مرة. وذاكرته السنجابية تُخزِّن أسماء وُلوجهم جميعا، حقيقية ومستعارة، وتحفظ

كلمات السر. رُفِعت الحُجُب وكُشفت الأسرار. فرحّال العْوينة يعرف كل شيء عن رعايا مملكته السَّيبرنيتية السعيدة. حتى الجالية النيجيرية في سيبر «أشبال الأطلس» انكشفَتْ له أسرارُها بعدها نقلَتْ أنشطتَها إلى المجال الإلكتروني. أميليا وفلورا سحاقيتان من قوم لوط. لكنهما تمتهِنان الدعارة مع الذكور حاليًا في انتظار اختراق السوق النسائية الناشئة والواعدة في مراكش. وياكابو يشتغل لهما مرافقا وحارسا شخصيا ووسيطا. أما علاقته مع فلورا فهي للتمويه يا قمر الدين. للتمويه فقط.

إيه يا رحّال. تراهُم يتحرّكون أمامك مثل الكراكيز. لا يعرفون أنهم جميعا في جيبك. أسماؤهم الحقيقية والمستعارة. ظاهرهم وباطنهم. أحلامهم وأوهامهم. أحابيلهم وألاعيبهم. صداقاتهم الافتراضية البريئة ومغامراتهم الإلكترونية الداعرة. كل شيء في جيبك يا رحّال، وعليك أن تُحسن التصرّف. كن أحرص الناس على أن تبقى هذه الأسرار طيّ الكتمان. احتفظ بها لنفسك أيها السنجاب الضئيل. وإلا، لو علم أبو قتادة مثلا أن قمر الدين زاغ عن هَدْيه وخرج عن الملة والدين ليصير اسمه عبد المسيح، وأن النيجيريتين من بنات الليل، لأعلن الجهاد من يومه وساعته، ولاندلعت حرب طاحنة في السّيبر. لذا كان رحّال يستمتع بالتلصّص على أفراد أسرته الجديدة مع الحرص على أن يمنح كلّ واحد منهم إحساسًا تامًّا بالأمان. ثم إنهم فعلا في بيتهم وبين أحضان أسرتهم السعيدة هنا في هذه الآجام الافتراضية لسيبر «أشبال الأطلس».

- 10 -

كلّو كوم، و«هوت ماروك» كوم.

Hot Maroc

المغرب الساخن.

هكذا جاء اسم الموقع.

جريدة إلكترونية تغطّي الأحداث ساعة بساعة. كل أخبار البلد تجدها هناك طرية طازجة: سياسة. مال وأعمال. رياضة. فن. رحلات وأسفار. دين وفتاوى. دوليات. أخبار الأقاليم والجهات. احتجاجات واعتصامات. حريات عامة. جرائم. كواليس السياسة والمجتمع. مقالات رأي. فيديوهات. حوارات ساخنة. سكوبات حصرية. وأيضًا: للثقافة أخبار.

صار رحّال يستهلُّ صباحه بأخبار «هوت ماروك». أول ما يقوم به بعد أن يفتح المحل ويشغّل الأجهزة هو فتح جريدته الإلكترونية العجيبة التي أعادَتْهُ إلى الشأن العام. هو الذي لم يسبق له أن اقتنى جريدة ورقية في حياته. مُذْ غادر حلقات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في الكلية، انفصل نهائيًّا. لم يعد يعرف غير القنفذة ووخزها. البجعة والسرعوف، ورتابة أيامهما الكسول في بيت عمّه عيّاد، حيث الثلاثي العبدي يأكل القوت وينتظر الموت. هيام ومشاويرها المضحكة والمستعجلة دائمًا (حتى حمّام النساء بعثته إليه مرّةً على

جناح السرعة لأنها نسيت موبايلها هناك). وهذه الأسرة الطارئة التي تحاصره ويحاصرها، تحصي عليه أنفاسه ويحصي عليها أنفاسها هنا في السّيبر.

«هوت ماروك» بطاقة سفر مجانية أعادت رحّال إلى بلده. تمامًا مثل مهاجر غاب لسنوات وراء البحار فانقطعت عنه أخبار الوطن، وها هو أخيرا يعود، بدون كلفة سفر، ليغرق في شؤون البلاد وشجونها.

عاجل.

سكوب.

حصري.

دائما هناك خبرٌ عاجلٌ يتصدّر الصفحة الأولى. الأخبار العاجلة تتوالى تباعًا. ساخنة مثل خبز طازج مسحوب للتوّ من بيت النار. حيّة مثل سمكة تجذبها من القاع صنّارة صياد. ورحّال أدمن خبز الجريدة الطازج وسمكها الطري. أدمن العودة إليها على رأس الساعة ليرى ما إذا هلّ خبر عاجل آخر.

لكنّ «هوت ماروك» ليست مجرد جريدة إلكترونية بالنسبة لرحّال. إنها فضاء تعبير وتشهير. مرحاضُه الجديد. لم يصدّق نفسه في البداية حينما انتبه إلى أن باب التعليقات مفتوح. تحت كلِّ مقالة أو خبرٍ مجالٌ للتّعليق. كان أمرا مذهلا. يمكنك يا رحّال أن تكتب ما شئت دون أن تزكم أنفك رائحة النتانة. علِّق براحتك وأنت مُسترخ فوق مكتبك، وليس وأنت تقعي بفخذين منثنيين تحت بطنك فيما تعصر أمعاءك في مرحاض. صار بوسعك أن تتفاعل مع ما تقرأ من موقعك هنا في حيّ المسيرة في سيبر «أشبال الأطلس». يمكنك أن تقول رأيك بحرّية، وبكل سرّية دون أن يسألك أحدٌ عن اسمك أو لقبك. انتبِهْ إلى لائحة المعلّقين: أسماء كاملة صريحة. وأخرى تكتفي بالاسم الشخصي: كريم. خالد. منى. سعيد. توقيعات تحيل

على مدن أو مناطق: سميرة المراكشية. فريد المكناسي. الكازاوية. ولد صفرو. الصحراوي. أمازيغي حُرّ. بنت الشمال. فقط اكتب اسمك وبريدك الإلكتروني، وعلِّق كما يحلو لك.

كاد رحّال يُجن وهو يقرأ تعليقه الأول منشورا دقائقَ معدودةً بعد إرساله. كانت مقالة رأي عن الانتخابات والديمقراطية في المغرب والوطن العربي من توقيع المفكر المغربي المعروف عصام اللوزي. حاول المقال أن يشرح كيف «نُطابِق في العالم العربي بين الانتخابات والديمقراطية رغم أنه من حيث المبدأ لا يمكن المطابقة بين الجزء والكُلّ، أو بين الوسيلة والغاية. صحيح أنه لا يمكن للعملية الديمقراطية أن تتمّ بدون انتخابات حرّة ونزيهة – يضيف صاحب المقال – إلا أن الانتخابات وصناديق الاقتراع لا تفضي بالضرورة إلى الديمقراطية. كيف ذلك؟..».

المقال طويل والتحليل مُوجِع للدماغ، ورحّال لن يُضيع وقته في قراءته كاملا. لكن تعليقه جاهز. أينك يا أبا قتادة أينك؟ تذكر النقاش الذي كان مُحتدمًا قبل أيام تحت خيمة أبي قتادة الإلكترونية حول حكم الشرع في الانتخابات. استعار اسم المحجوب ديدي الحركي وإيميله، وما ترى عينك إلا النّور:

«عن أيّ ديمقراطية وأيّ انتخابات وأيّ بطيخ أحمر تتحدّث أيها العلماني المتحذلق؟ الانتخابات التي تساوي كافة أفراد المجتمع في أصواتهم: المؤمن والفاسق، المحتجبة المصُون والمتبرّجة المومس، العالم والجاهل؟ «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟». ثم أليست الانتخابات سببا للشرك برب العالمين؟ فالتشريع لله وحده. والحكم لله وحده «أم لهم شركاء شَرَعوا لهم من الدين ما لم يَأذَن به الله ولولا كلمة الفصل لقُضي بينهم. وإن الظالمين لهُم عذابٌ أليم»؟».

ينصر دينك يا أبو قتادة.

لم يكن رحّال يتوقّع هذا الكمّ من اللايكات. أكثر من خمسين لايك لحدّ الآن، في حين لم يحظ المقال الأصلي بأكثر من سبع لايكات. القرّاء أعجبهم تعليقك أيها السنجاب. صحيح أن رحّال غير متفق مع أبي قتادة فيما ذهب إليه. فهو ليس متطرّفًا ليكفُر بالديمقراطية والانتخابات بهذه الطريقة الشنيعة، لكنّ احتضان جمهور القراء لتعليقه ملأه حماسًا وزهوًا. عليه أن يبحث عن موضوع آخر ليُدلي بدَلْوِ أبي قتادة فيه. والله وليُّ التوفيق.